توقد شمعتها السادسة

تلويحة في (المدى)..

شاكر لعيبي

في الاحتفاء (بالمدى) سيكون كل مديح غير متزن بمثابة تملّق قليل البصيرة لمحرريها وناشرها الذين لم أستلم منهم شروى نقير، لكن شعوري العميق هو التالي: تصير جريدة مثل (المدى) أو قريناتها الجادات ضرورة بغياب منبر ثابت لوقت جد طويل في الثقافة العراقية في عالم لا بد فيه من المنابر الثابتة.

لا يستطيع شاعر أو كاتب أن يرسم صورة متزنة لمشروعه الشعري أو الثقافي بنشر مقالات أو قصائد مبعثرة متفرقة بين هذا المنبر أو ذاك، وهو ما فعله جلّ المثقفين العراقيين طوال الثلاثين سنة المنصرمة، وهو ما يفسر لماذا ظهرت أسماء مجايليهم العرب بقوة واشتهرت في حين ظل المشروع الثقافي للمثقف العراقي يعاني، في عيون قراءة، من الغموض والابتسار.

نعلم أن فعاليات مؤسسة (المدى) أثارت غيظ وأقاويل البعض، عن حق وباطل، الباطل أكثر من الحق لسبب جذري في يقيني: أن لدى البعض في العالم العربي مسعى لاستبعاد الثقافة العراقية وهناك مخاوف من أصالتها وإبداعها برغم السنوات العجاف التي عاشتها وعانى منها مثقفوها.

تبرهن بعض الصحافة العراقية ومنها (المدى) على توطن الثقافة في الضمير العراقي وصعوبة اقتلاعها من الممارسة الاجتماعية برغم ما مر ويمر بها، هذا درس أولي لا بد من التوقف أمامه.

لنلاحظ أن الجريدة من بين الكثير من الصحف العراقية تظل الأكثر رصانة في التحليل والخيارات، بعيداً عن النبرات الطائفية أو الأفكار النزقة أو الإثارة السهلة أو الانطواء على الذات، أضف لذلك أنها تبدو مشروعا للمّ شمل العراق في الداخل والخارج، والتسامح مع رموز الثقافة العراقية ممن ظلوا يعملون تحت مؤسسات النظام السابق.

غالبا لا يسلم في الثقافة العراقية أحد من القدح لأن الأريحية والود العالي ما زالا ينقصان الثقافة في العراق لأسباب لا تخفى على أحد. لم ولن يسلم رئيس تحرير (المدى) من نقد شرس ومشروعه من الأحقاد، خاصة بسبب طبيعته الشخصية الإشكالية وطموحه الجامح وما حققه فعليا منذ تسعينيات القرن الماضي، وهو أمر يدل أن الثقافة، هي في المقام الأول، موطن للإشكالات وليس عقلاً صرفاً أو قلبا عارياً مجرداً.

لذا أواظب في النشر بالمدى، (المدى الثقافي) بالنسبة لي موضع اتصال ضروري مع القارئ العراقي والعربي، لقد نشرت بها كل ما أريد قوله ولم تحذف من جميع ما كتبته فقرة أو صورة.

(المدى) تتسع

عبد العزيز لازم

كل عام تقدم (المدى) كشف الحساب. في كل عام نطّلع نحن على كشفها، نقدم لها كشفنا نحن أيضا، فنحن بدورنا نسهم في صنع كشفها، كانت بغداد المثخنة بالجراح في انتظارها. فقبل خمسة أعوام فتحت المدينة العريقة ذراعيها على كل امتدادها (للمدى) المهاجرة، ومنحتها حضنا جميلا على دجلة، فباشرت الجريدة فورا نشر النور الإعلامي والثقافي. بعض المتشككين كانوا يراهنون على رأي مفاده إن " المدى " قد بلغت قمتها التنويرية الشاهقة الحالية بسبب الفراغ الإعلامي والثقافي الذي يرون انه كان سائدا في البلاد بعد عام السقوط ,٢٠٠٣ إن أصحاب هذا الرأي قد نسوا إن المثقف العراقي والمبدع العراقي لم يتركا مساحة فارغة في حياة الوطن ونسوا إن النشاط الثقافي الإبداعي لهؤلاء المثقفين قد تمدد إلى ساحات العالم أيضا، ونسوا أخيرا إن (المدى) كانت مع هذا الامتداد، بل كانت في صلبه، فقد أسست زاويتها المضيئة في الخارج فور بدء الخروج الاضطراري العام مستقطبة الجهد الإعلامي والثقافي والإبداعي المهاجر لأبناء الرافدين. وفق هذا المنظور نقول: إن جريدة (المدى) كانت قد ولدت قبل تاريخ تأسيسها الجديد في بغداد، وإذا كان حصر زمن التأسيس مطلوبا لأغراض الحساب فنقول: إن الأعوام القليلة الماضية قد تمخضت عن ذراع عملاق تأصلت جذوره من دون تراجع برغم دورات المحنة القاسية المتكررة.

في إحدى زياراتي إلى (المدى) على مشارف طريق أبي نؤاس كان المبنى الأنيق يواصل حركته الداخلية كخلية نحل وطيدة الاتزان، لكني لاحظت إن ثمة غبارا قد غطى بعض الممرات التي عهدتها نظيفة ولامعة، وكانت هناك إحدى العاملات في المبنى وهي تمسك مكنسة وتحاول إزالة الغبار، لاحظت استغرابي فأجابت: " إن الكاتيوشا كانت هنا "، ثم واصلت كنسها لآثارها وكانت تبتسم. نعم سقطت القذيفة التي ضيعها جهلهم وعماهم الإنساني على " المدى "، لكن المرأة ماسكة المكنسة كانت تبتسم. كان المشهد يحفز صورة فورية في الذهن عن جدات سومريات وأكديات وبابليات وجدات آشوريات، كن يقبضن على مكانسهن لتنظيف الأرض وتهيئتها لاستقبال البيادر الجديدة في مواسم الحصاد الجديدة، وكأن المرأة في المدى كانت تواصل المهمة.

فكان حصاد (المدى): نهارات مستمرة، تؤسس وتجذر المصطلح لأول مرة في تاريخ الثقافة العراقية بله التفافة العربية والعالمية وكان نشاطا اكتسب بريقه من ساحة محتدمة قدم رؤوسا مكتنزة بالخيال الخلاق والأحلام المتجاوزة. وكان الحصاد مهرجانا عالي الهمة ودقيق التنظيم في كردستان حضره ثمانمئة وقيل أكثر من وجوه الثقافة والإبداع العربي والعالمي. ثم تبعه مهرجان أكثر سعة وإثارة لأنه عقد في بغداد الآمنة لأول مرة وكانت مواضيعه أكثر تنوعا من مهرجان اربيل كردستان وحضره هذه المرة مجموعة من سياسيي النخبة في البلاد فأوقد بذلك بقوة أكبر ذلك الضوء الكائن بين السياسة والثقافة والإبداع الذي ظل خافتا بسبب ظروف جمة، تبع ذلك مهرجان متخصص للمسرح العراقي قدمت فيه جوائز للرواد. لم تكتف (المدى) في عامها المغادر بهذا الحصاد، فنظمت مهرجانا للزواج الجماعي استفادت منه مجموعة من الشابات والشباب، وكان عرسا جماعيا حضره أيضا نخبة من السياسيين من أعضاء البرلمان وقادة الأحزاب.

لقد سبق لنا وان ذكرنا في مقالة سابقة (لم تنشر) بأن نشاطات (المدى) يمكن أن تمتد إلى الميدان الاجتماعي فتؤسس هيئة اجتماعية متصلة في نشاطها مع (المدى الثقافي والمدى الإعلامي)، خاصة وان أبواب الجريدة الثابتة التي تهتم بشؤون المواطنين عرفت دائما كيف تتعامل مع هذه الشؤون وبالتالي نستطيع الزعم بأنها قد أقامت علاقات لصيقة مع جمهور واسع من المواطنين أصحاب تلك الشؤون، بل إن هذه العلاقة قد امتدت إلى مجموعات ذوي الرأي الذين نشطوا بأقلامهم ونتاجاتهم التي استقبلتها صفحات المدى. اتصلت هذه النشاطات بنشاطات أخرى تمثلت بالاستمرار بإصدار سلسة الكتاب المجاني، وهي سلسله لا تنتهي، تأخذ بعين الاعتبار ارتفاع سعر الكتاب وعدم قدرة العديد من أهل الثقافة والراغبين بالإطلاع على ضمير العالم على تحمل تكاليف الكتاب المطبوع.

العام الفائت من عمر المدى كان متوهجاً بالنشاطات التي تندرج تحت عنوان "لأول مرة ". فهي قد انتقلت من النشاطات ذات الطابع الثقافي إلى الميدان الاجتماعي، أي أن الخط البياني الصاعد لم يقتصر على الكم، بل اظهر تطوراً صاعداً في مجال النوع أيضا. فهل آن الأوان لنا أن ننتظر من (المدى) في عامها الجديد أن توسع جناحها ليظلل مجالات أخرى؟ فأمامنا المبدعون من الأطفال، والمبدعون من المعاقين، أمامنا المسرح المدرسي والنشاط الثقافي للمنظمات المهنية، أمامنا مسألة تشجيع البحوث العلمية وتخصيص جوائز تشجيعية ونشر ما هو صالح ومفيد منها.

لنحتفل مع (المدى) في عامها الجديد ونشد بقوة ومحبة على أيدي العاملين في الجريدة المجاهدة وفي كل هيئات (المدى) ولنحيي تلك المرأة المبتسمة ونرد على ابتسامتها بابتسامة أوسع مدى، ومرحى لكم وللمثقف العراقي.

من خارج وداخل (المدى)

باسم عبد الحميد حمودي

في الخامس من آب ٢٠٠٣ صدر العدد الاول من (المدى) العزيزة في بغداد، وفي مقرها الاول في شارع فلسطين جرى الاحتفال بالصدور، كان حفلاً بسيطاً تخللته (الشرابت) وقطع الكيك ولكنه كان حافلاً بالحب والاطمئنان لبداية مسيرة جديدة في تاريخ الصحافة العراقية الملتزمة بقضايا وهموم الناس وتطلعاتهم.

حضرت الحفل للمباركة مع الروائي احمد خلف والمترجم كامل عويد، فقد كنت خارج (المدى) رسميا ولكني قريب منها قدر قربي من صديقي القديم الاستاذ فخري كريم رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير (المدى) الذي القى كلمة احتفائية بجميع من اسهم في الاصدار الاول واعداً بالكثير الذي نفذ فعلاً وعلى مدى مسيرة المدى المتصلة المكتظة بالمنجزات: كتاب في جريدة، اسابيع المدى الثقافية في اربيل- بغداد، صندوق التنمية الثقافية، نهارات المدى، فرقة المدى المسرحية، رعاية الادباء والفنانين، مهرجانات العين تكتشف وغائب فرمان وسواهما تتقدم رجال الاصدار الاول الدكتورة سلوى زكو ام عمار العزيزة وزهير الجزائري وسهيل سامي نادر وعبد الزهرة زكي الذي كان يتولى سكرتارية التحرير قبل ان يتولى مهمات اكبر.

ومن رجال العدد الاول الاخوة قاسم محمد عباس وعلاء المفرجي (القسم الثقافي) ومحمد درويش علي (المنوعات) وعدنان منشد واحمد سعداوي وحيدر سعيد وجمال العميدي وسواهم.. بعضهم انتقل الى مجالات اخرى وبعضهم استمر لكن حبهم للـ(المدى) ظل مقيماً، يتواصلون معها ويكتبون ولابد من تسجيل تحية خاصة للآنسة غادة العاملي التي كانت تتولى عند الاصدار الاول رئاسة القسم الفني ثم تولت بعد ذلك منصب المدير العام للمؤسسة مثبتة بذلك قدرة كبيرة على الادارة والعمل الجاد من اجل المدى مؤسسة وصحيفة.

التحقت بالمدى محرراً لصفحة الثقافة الشعبية بعد ستة اشهر من صدور الجريدة ثم تفرغت للعمل في القسم الثقافي مع الزميلين قاسم وعلاء وكان عملنا وما زال عملاً تضامنياً يعتني بالتفاصيل قدر عنايته بالاساسيات، فالمدى عموماً حريصة على استقطاب الكتّاب والادباء والفنانين والساسة وهؤلاء جميعاً تستطيع المدى ان تبني وقد بنت وان تنهض وتنجح وقد غدت (المدى) وهي تنهي عامها الخامس ظاهرة صحفية عراقية واضحة مميزة اهتمت بها الصحافة العالمية والفضائيات منذ ان كشفت تفاصيل رشا النفط مقابل الغذاء وفضحت بذلك شخوصاً وساسة وصحفيين واحزاباً ومنظمات ولم يستطع احد التشكيك بمعلوماتها مثلما لم يستطع احد ان يشكك بقدرة (المدى) العزيزة على التفرد والنجاح، فـ(المدى) تهتم اولا بقارئها قدر اهتمامها برسالتها الصحفية المتلزمة وكل عام وانتم و(المدى) وأهلها بخير.

(المدى) تكريس نموذج الحفل بالتنوع والتجديد

عبد الخالق كيطان

هذه مناسبة للفرح، أن تحتفل بعيد ميلاد جريدة عراقية اجتهدت طوال سنوات أن تمحو عن الذاكرة نمط الصحافة العراقية الذي كان سائداً في الثلاثين عاماً الماضية.. ذلك النمط المتعالي على القارئ من خلال تركيزه على الخطاب الواحد والفكرة الواحدة، والصورة الواحدة أيضاً.

جريدة (المدى) بسنواتها الخمس الماضية كانت تصر على تكريس نموذج صحافي يحفل بالتنوع والتجدد، فلا غرابة بعد ذلك أن تجد في مختلف صفحاتها كتاباً من الأطياف والاتجاهات المنوعة العراقية.. ولقد حرصت شخصياً على أن أبدأ يومي، هنا في أستراليا، بالذهاب أولاً إلى جريدة (المدى) ومتابعة موادها على الأنترنت قبل الذهاب إلى أي موقع عراقي أو عربي آخر.. الأعتياد هنا يثمر علاقة بين القارئ والجريدة، علاقة لم تكن محكومة باعتياد اليأس أو الخضوع لمبدأ أن لا بديل عن ذلك، كما كنا نفعل مثلاً أيام ما قبل التاسع من نيسان.. إننا اليوم في عصر التقدم المعلوماتي ولم تعد السلطة مصدراً لاحتكار المعلومة والخبر، فبإمكان القارئ العادي الوصول إلى المعلومة التي يريد من مختلف المصادر، وهذا لا شك ما يضاعف من جسامة المسؤولية الملقاة على عاتق صناع الإعلام في العراق وضرورة المنافسة.. على أن جريدة المدى لم تتوقف عند ذلك، بل دعمت مشروعها الصحافي بتركيز واضح على الجانب الثقافي، وهو ما يحسب لها عندما خصصت صفحتين يوميتين للثقافة العراقية من دون أن تنسى إطلالات متتابعة للمشهد الثقافي بأطيافه العراقية المختلفة، وخاصة الثقافة الكردية، كما كانت هنالك إطلالات أخرى على المشهد الثقافي العربي والأجنبي مما لا غنى له بالنسبة للقارئ الحر.

ولا يمكن الحديث عن مشروع (المدى) الجريدة من دون التذكير بمشروع (المدى) المؤسسة التي استطاعت أن تنجز الكثير من المشاريع الثقافية التي أصبحت معروفة ومكرسة حقا: كتاب في جريدة، أسبوع المدى الثقافي، نهارات المدى... ألخ... ومن أجل القيام بكل تلك النشاطات كان لزاماً على المدى، الإدارة، أن تستقطب عدداً من الكفاءات العراقية المشهودة، وهو ما زادها كفاءة.. لقد سعدت سعادة بالغة عند زيارتي الأخيرة لـ(المدى) قبل شهور وأنا أرى وألتقي نخبة من مبدعينا العراقيين وهم يتوزعون في أقسام الجريدة، ما جعلني أمر عليهم في كل يوم تقريباً.. حيث سادت روح الإلفة والتعاون بين الجميع من أجل إخراج مطبوع، وإنضاج مؤسسة، نحن بأحوج ما نكون إليها في هذا الظرف العسير.

لهذا كله.. أتشرف بأني كنت من أوائل من كتبوا في (المدى) ولم انقطع عن ذلك حتى اليوم.

ألف مبارك لـ(المدى) في عيد تأسيسها.. ولجميع العاملين فيها من دون استثناء..